النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٤ شعراء النصرانية

اذا نحن تحطّينا الآن من هذه البيّنات والادلّة العمومية عن الشعر النصراني ونفوذه بين عرب الجاهليّة واعتبرنا أفراد الشعراء الذين اثبتنا اسماءهم وقصائدهم في كتابنا «شعراء النصرانيّة» تمهّد لنا الطريق للحكم بنصرانيّتهم اماً بتاتاً واماً ترجيحاً فهاكم نحن نستمري ذكرهم على سياق قبائلهم التي انتسبوا اليها

اوّلاً قبائل ربيعة

قبائل ربيعة كثيرة العدد كانت تسكن في الجهات الممتدّة بين الفرات والخابور الى انحاء العراق. وبنو ربيعة على اختلاف قبائلهم يتصلون بربيعة بن نزار جدّهم الأعلى. وفي ربيعة خصوصاً انتشر الدين النصراني كما روى كثيرون من كتبة المسلمين كابن قتيبة وابن رسته والقاضي صاعد الاندلسي والفيروزابادي (راجع اقوالهم في الصفحة ١٣٠). ولا تجد في ما يُروى من شعرهم اثرًا للشرك وعبادة الاصنام وفيه على خلاف ذلك من الاقوال في التوحيد وتُقى الله ومدح الفضيلة ما يدلُّ على تأثير التعاليم النصرانيّة في قلوبهم اذ كانوا محاطين في انحائهم بالبيَع واديرة الرهبان والكنائس. ويتردّد اكثرهم على ماوك الحيرة المتنصّرين ويمدحونهم. وثبتت النصرانيّة في ربيعة مدّة بعد الاسلام وقد ذكر في الاغاني (٢٠: ١٢٧): «نصارى بعض احياء ربيعة في عهد بني امية»

١ شعراء تغلب

لا نظنّ انّ احداً ينكر علينا نصرانيّة تغلب مع اتّفاق الكتبة القدماء على اعتصابها بالدين المسيحي وذلك قبل الهجرة بزمن طويل يمكن ترقيتهُ الى ما وراء

القرن الخامس للميلاد الى عهد السيّاح والرهبان الذين ازهروا في الجزيرة في القرن الرابع للمسيح. وقد مرّت لنا الشواهد على ذلك في القسم الاوّل . ومن ثمّ لا حاجة الى اثبات نصرانيّة شعراء تغلب الذين نظمناهم في سلك كتابنا شعراء النصرانيّة وهم ثمانية هذه اسماؤهم على ترتيب ذكرهم في الكتاب مع الاشارة الى الصفحات التي وردت فيها اخبارهم :

١ كليب وائل	(شعراء النصرانيّة ص ١٥١–١٥٩)
٢ المهلهل اخو كليب	« ١٦٠–١٨١
٣ السفّاح التغلبيّ	« ١٨٢–١٨٣
٤ الاخنس بن شهاب	« ١٨٤–١٨٧
٥ جابر بن حُنَيّ	« ١٨٨–١٩١
٦ افنون صريم بن مَعْشر	« ١٩٢–١٩٤
٧ عُمَيْرَة بن جُعَيْل	« ١٩٥–١٩٦
٨ عمرو بن كلثوم	« ١٩٧–٢٠٤

فهؤلاء كلهم سواء صرّحوا بدينهم النصراني كما ترى في ترجمة جابر بن حُني ام سكتوا عنها فلا شكّ بنصرانيّتهم

٢ شعراء بكر

انّ نصرانيّة بني بكر ثابتة كنصرانيّة تغلب وكانت كلتا القبيلتين ساكنة في الجزيرة متجاورة في ديار بكر وديار ربيعة وهما ترتقيان الى اصل واحد الى وائل ومنهُ الى ربيعة بن نزار وتدينان بدين واحد وكلّ من ذكر نصرانيّة تغلب اضاف اليها بكرًا كما رأينا سابقًا . هذا مع ما حصل بين القبيلتين من النزاعات والحروب اخصّها حرب البسوس كما يجري غالبًا من المنافسات والضغائن بين الاقارب . وبكر قبيلة كبيرة كتغلب تتفرّع الى فروع عديدة كضُبَيْعَة وشيبان ومرّة ويشكر وعجل وقد اتينا في باب القبائل المتنصّرة بذكر هذه الفروع

١ ﴿ بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ﴾ ذكرنا منهم في شعراء النصرانيّة هؤلاء الثمانية الآتين :

١ سعد بن مالك بن ضبيعة	(شعراء النصرانيّة ص ٢٦٦–٢٦٧)
٢ جعدر بن ضبيعة	« ٢٦٨–٢٦٩

٣ عمرو بن سعد بن مالك (المرقش الاكبر)	«	٢٨٢-٢٩٢
٤ ربيعة بن سفيان بن سعد (المرقش الاصغر)	«	٣٢٨-٣٢٩
٥ طرفة بن العبد بن سفيان بن حرملة بن سعد	«	٢٩٨-٣٢٠
٦ المرقش اخت طرفة	«	٣٢١-٣٢٧
٧ عمرو بن قيئة بن ذريح بن سعد	«	٢٩٣-٢٩٧
٨ المسيّب بن علس ... بن مالك بن ضبيعة	«	٣٥٠-٣٥٦

فكل هؤلاء متقاربو العهد بينهم واشجةُ رحم من سلالة واحدة. وقد صرّح في كتاب الاغاني (٥: ١٩١) تخرُّج المرقش الاكبر على نصارى الحيرة وذكرنا في شعراء النصرانيّة استشهادهُ بزبور داود:

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذلك في الزبو ر الاوّليّات القدائمْ

وطَرَفة بن العَبد كان ابن خفيد المرقش الاكبر وابن اخي المرقش الاصغر. ووردة امُّ طرفة كانت اخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمّس فكفى بهذه القرابة دليلًا على نصرانيّة طرفة. وعيشة طرفة والمتلمّس في الحيرة بين النصارى ودخولها على ملكها النصراني عمرو بن هند مما يزيد ذلك. وفي شعر طرفة تنويهٌ بخلود النفس والحساب كقولهِ:

فكيف يرجّي المرء دهرًا مخلّدًا واعمالهُ عمدًا قليلٍ تحاسبُهْ

وتصريحٌ بحكم الله المطلق على الانام:

انَّ الله ليس لحكمهِ حكمُ

وبكمال اعمالهِ تعالى:

وما قد بناهُ الله يهدمُهْ وما قد بناهُ الله فالله ماحقُهْ

وهو القائل في الحضّ على الخير والحياد عن الشرّ:

الخيرُ خيرٌ وان طال الزمان بهِ والشرُّ اخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

ولهُ في مودّتهِ لاهل الدين:

سأسرفُ نفسي عن هوى كلّ غادرٍ وأعرضُ عن أخلاقهِ وأخارقُهْ
واجعلُ اهل الدين اهل مودّتي ليعلمَ اهل الفضل مَن انا واثقُهْ

وكان عمرو بن قميئة من قرابة المرقشين الاكبر والاصغر وطرفة وهو الذي رافق امرء القيس في سفره الى القيصر ملك القسطنطينيّة . وفي اخباره ما يدلّ على ابتعاده عن الدناءة والاثم كيوسف الحسن والتجائه الى نصارى الحيرة فرارًا من التهمة الباطلة . وهذا كلّهُ مما لا يدع شبهةً في نصرانيّته

وكذلك المسيّب بن علس من ندماء ملك الحيرة عمرو بن هند كطرفة والمتلمّس وكان خال الاعشى الكبير . وهو القائل يدعو بني عامر الى تُقى الله :

ألا تتقون الله يا آل عامر وهل يتّقي اللهَ الأَبَلُّ المصمَّمُ

٥ ﴿شعراء شيبان﴾ شيبان احد بطون بني ثعلبة بن عكابة المذكورين في تواريخ الروم والسريان كنصارى العرب يدعونهم (الحجحتا Thalabenses) ويذكرون لهم اساقفةً (راجع المكتبة الشرقيّة للسمعاني ١ : ٢٦٥ ومقدّمتهُ في الجزء الثاني CXI) وقد ذكرنا من شعرائهم اربعةً وهم :

١ جسّاس بن مرّة بن ذهل بن شيبان	(شعراء النصرانية	٢٥١-٢٤٦
٢ جليلة اختهُ	«	٢٥٣-٢٥٢
٣ عبد المسيح بن عسلة	«	٢٥٥-٢٥٤
٤ بسطام بن قيس . . بن ذهل بن شيبان	«	٢٦٣-٢٥٦

جسّاس هو قاتل كُلَيب وائل صهرهِ زوج اختهِ جليلة وكان طليعة قومهِ في حرب البسوس . ونصرانيّتهُ ثابتة من عدّة وجوه ١ً من انتسابهِ الى شيبان . ٢ً من قرابتهِ الى بني تغلب . ٣ً من اعترافهِ بالاله الحقّ وبالبعث في حلفهِ حيث يقول :

اني ورب الشاعر النرور وباعث الموتى من القبور

ولهمّام اخي جسّاس شعر في المفضّليّات . ولا حاجة لبيان نصرانيّة عبد المسيح بن عسلة فانّ اسمهُ يشهد لهُ . وقصيدتهُ المرثيّة هنا قد طُبعت مؤخّرًا في جملة المفضّليات (ed. Lyall, p. ٥٥٦) ولم يُذكر هناك عن نسب قائلها الّا كونهُ « اخا بني مرّة ابن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان »

امّا بسطام بن قيس بن مسعود فهو احد فرسان بني شيبان المعدودين في الجاهليّة . قال ابن قيم الجوزيّة في اخبار النساء (ص ٩٨) كان بسطام فارسًا جوادًا عفيفًا . وقال ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٦٧) : قد رَبَع الذهليّين واللهازم اثني عشر رباعًا .

اما نصرانيّة بسطام بن قيس فقد جاهر بها ابن دريد في الكامل (ص١٣٠) وابن عبد ربّه ايضاً في العقد (٣: ٨٨) في اخبار يوم الغبيط وقد ورد هنالك اسم الحنيف مع اسم النصراني حيث قال: «ونادى القوم نجّاداً اخا بسطام كُرَّ على اخيك وهم يرجون ان يأسروه فناداه بسطام: ان كررتَ فانا حنيف وكان بسطام نصرانيًّا فلحق نجاد بقومه» . وقد جاء في الاغاني (١٩: ١٨) ذكر زيد بن بسطام فقال عنهُ انهُ كان نصرانيًّا وذكر ابنتهُ حدرا. (١٩: ١٢) قال «تزوّجها الفرزدق وكانت نصرانيّة»

٣ قيس بن ثعلبة اخو شيبان بن ثعلبة. اليهِ ينتسب الحارث بن عبّاد بن ضبيعة رئيس بني بكر في حرب البسوس بعد اعتزالهِ الحرب مدّةً الى ان قُتل ابنهُ بجير. ونصرانيّتهُ تثبت بنصرانيّة شيبان لأن شيبان وقيساً كليهما ابنا ثعلبة بن عكابة

راجع اخبار الحارث في شعراء النصرانيّة (ص ٢٧٠-٢٨١)

٤ بكر بن بكر حيّ كبير من بكر بن وائل يدين بدينها ذكرنا منهُ ثلثة شعراء مُجيدين:

١ الحارث بن حلِزة	(شعراء النصرانيّة	٦١٦-٦٢٠)
٢ المتخل اليشكري	«	٦٢١-٦٢٤
٣ سويد بن ابي كاهل	«	٦٢٥-٦٣٦

الحارث بن حلّزة هو الذي دافع عن قومهِ عند عمرو بن هند ملك الحيرة بمعلّقتهِ الهمزيّة المشهورة مناقضاً لمعلّقة عمرو بن كلثوم. وبهما وقع الصلح بين بكر وتغلب

وكان المتخّل اليشكري من ندماء ملك الحيرة النصراني النعمان بن منذر. اما سُوَيد بن ابي كاهل فادرك الاسلام ولم يذكر احد اسلامهُ ومن شعرهِ الدالّ على دينهِ قولهُ من عينيّتهِ الشهيرة

كتب الرَّحمانُ والحمدُ لهُ سمةَ الاخلاقِ فينا والشِّيَمْ
وإباء للدنيّات اذا أُعطيَ المكثورُ ضيماً فكَظَمْ
وبناء للمعالي انما يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وضعْ
نِعَمٌ لله فينا رَبُّها وصنيعُ اللهِ واللهُ صنعْ

٥ علي بن بكر ذكرنا شاعرين من بني علي بن بكر بن وائل وهما:

١ قند الرمّاني	(شعراء النصرانيّة	ص ٣٤١-٣٤٥)
٢ اعشى قيس بن ثعلبة	«	٣٥٧-٣٩٩

كان فند الزمّاني سيّد بكر في زمانه وشهد حرب البسوس وحارب مع بني بكر ورئيسهم الحارث بن عبّاد وهو من نصارى اليمامة . وقد روينا شعره في تلك الأيّام

واشهر منهُ ميمون بن قيس وهو الاعشى الكبير . وقد نظمتهُ بين الشعراء النصارى ليس فقط لانتمائهِ الى بني بكر النصارى بل لاسباب اخرى منها . ١ تخرُّجهُ على العباديين ورأيهُ بآرائهم . قال في الاغاني (٨ : ٧٩) : «كان الأعشى قَدَريًا (اي يقول بحرّيّة الانسان في اعماله) . . . اخذ مذهبهُ من قبل العباديين نصارى الحيرة كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقّنوهُ ذلك» . ٢ وكان راوية الاعشى يحيى بن متّى النصرانيّ العباديّ . ٣ زيارة الاعشى لنجران وكنيستها المعروفة بكعبة نجران ولاساقفتها وامرائها النصارى . قال يكلم ناقتهُ :

وكعبةَ نجرانَ حتّ عليكِ م حتّى تُناخيَ بأبوابها
تزورُ يزيدًا وعبد المسيح وقيسًا همُ خيرُ اربابها

٤ تجوُّلهُ في البلاد النصرانيّة كحمص واورشليم قال :

وقد طُفت للمال آفاقهُ عُمانَ فحمصَ فاورشليمْ
فنجرانَ فالسَّرْو من حميرٍ فماني مُرامٍ لهُ لم ارمْ

٥ ايمانهُ بالبعث والحساب كقوله :

اذا انتَ لم ترحَلْ بزادٍ من التُّقى . ولاقيتَ بعد الموت مَنْ قد تزوَّدا
ندمتَ على ان تكون كمثلهِ فتُرصد للامر الذي كان ارصدا

٦ اقتباساتهُ الشعريّة من العادات النصرانيّة كحلفهِ باسكيم الرهبان :

فاني وثوبَيْ راهب اللُّجّ والتي بناها قُصَيّ والمقاصُ بن جرهم

قال البكري في معجم ما استعجم (٤٨٩) : اللجّ غدير عند دير هند وقيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام . . ويروى : «وثوبي راهب الطور» . والتي بناها قُصَيّ يعني مكّة» . وهذا كما حلف عديّ بن زيد «برب مكّة والصليب» وحلف الاعشى ايضاً بمثل ذلك فقال :

واني ورب الساجدين عشيّةً وما سكّ ناقوسَ النصارى ايلُها

وللاعشى في وصف هياكل النصارى وصلبانها وصورها :

فما مُثِّلَ في هيكلٍ بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

٧ ذكرهُ للانبياء واحداث الاسفار المقدّسة كقولهِ في نوح وفلكهِ :

جزى الالهُ اياساً خير نعمتهِ كما جزى المرء نوحاً بعد ما شابا
في فُلْكهِ اذ تبدّاها ليصنعها وظلّ يجمع أزواجاً وابرابا

وقد روينا لهُ ابياتاً في داود النبي وفي سليمان الحكيم وفي المنّ والسلوى وغير ذلك ممّا يدلُّ على معرفتهِ للاسفار الكريمة

٨ ويؤيد ذلك ذكرهُ لفصح النصارى ومدحهُ لهوذة بن علي الذي فكّ اسرى تميم في ذلك العيد فقال :

جم يقرّبُ يوم الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

وكلّ هذه الشواهد لا يمكن تعليلها الّا بان يقال انهُ كان يدين بالنصرانيّة . وقد ذهب الى هذا القول المستشرق الهَوْزن حيث قال Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 233 « يظهر انّ احد شعراء الجاهليّة المدرسيّين الاعشى قد كان نصرانيًّا » (Einer der klassischen Dichter der Gâhilija, al-A'cha, soll Christ gewesen sein)

٣ ربيّون آخرون

اربعة شعراء من ربيعة من غير قبائل بكر وتغلب روينا شعرهم وهم :

١ البرّاق بن روحان	(شعراء النصرانيّة	ص١٤١–١٤٧)
٢ ليلى العفيفة زوجتهُ	«	١٤٨–١٥٠
٣ جرير بن عبد المسيح (المتلمّس)	«	٣٢٠–٣٦٩
٤ المثقب العبدي	«	٤٠٠–٤١٥

هم من احياء مختلفة لا شكّ في نصرانيّتهم . فالبرّاق كما ورد في جمهرة انساب العرب للكلبيّ كان من قرابة المهلهل التغلبيّ وتخرّج على راهب فتعلّم منهُ تلاوة الانجيل ولعلّ دير ابن برّاق الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان اليه ينتسب . والمتلمّس ينتمي الى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار وكفى باسمهِ « جرير بن عبد المسيح » دليلًا على دينهِ . نادَم مدّة عمرو بن هند ثم هرب منهُ الى الشام واجتمع باهلها النصارى وفي ذلك يقول :

حنَّت قلوصي جا والليلُ مطرقٌ بعد الهدوّ وشاقتها النواقيسُ

وهو القائل عن تقى الله :

وأعلمُ علمَ حقٍّ غير ظنّ وتقوى الله من خير العَتادِ

امّا المثقّب العبدي فكان من اسد بن ربيعة يرتقي اليها بعبد القيس بن افصى التي سبق لنا ذكر شيوع النصرانيّة بينها. كان ابوه محصن بن ثعلبة سيّداً خطيراً واحد السعاة بالصلح بين بكر وتغلب كما قال المثقّب :

ابي أصلح الحيَّين بكراً وتغلباً وقد أرعشتْ بكرٌ وخفَّ حلومُها

والمثقب دخل على ملوك الحيرة فمدح منهم عمرو بن هند والنعمان بن قابوس

ثانياً شعراء اياد

اياد بن نزار اخو ربيعة. تشعّبت منهُ احياء وفروع متعدّدة شاركوا ربيعة في نصرانيّتهم كما يشهد على ذلك كتبة مسلمون فضلاء كابي نصر الفارابيّ والبكري وابن دريد (اطلب نصوصهم في الصفحة ٢٤) وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان اديرةً بناها بنو اياد كدير السوا ودير قرّة . وفي اخبار البلد الحرام للفاسيّ (ص ١٣٧) انّ كاهناً من اياد اسمهُ وكيع بن سلمة ابتنى صرحاً ليناجي فيهِ الله. قال بشر بن الحجر (البيان والتبيين للجاحظ ١ : ١٩٠) :

ونحنُ ايادٌ عبادُ الالهِ ورهطُ مُناجيهِ في الصُّلَّمِ

واشهر من عُرف من شعرائهم شاعران ذكرناهما في كتابنا :

١ قس بن ساعدة	(شعراء النصرانيّة	ص ٢١١–٢١٨)
٢ اميّة بن ابي الصّلت	»	٢١٩–٢٣٧

قس بن ساعدة هو خطيب العرب الشهير واسقف نجران لا حاجة الى اثبات نصرانيّتهِ. وصفهُ الجارود النصراني العبقريّ لمحمّد بما رويناهُ هناك (ص ٢١١). هذا مع ما دخل في اخبارهِ من الاقاصيص الغريبة التي رويناها على علّاتها

امّا اميّة بن ابي الصّلت وهو من ثقيف بها يرتقي الى اياد فيمكننا بيان نصرانيّتهِ بالادلّة الآتية : ١ كونهُ من اياد التي اثبتنا نصرانيّتها وافتخارهُ بمعارف قومهِ لاسيما

الكتابة وفنّ الكتابة كما سبق تعلّمهُ العرب من النصارى :

قومي إيادٌ لو أنّهم أمَمٌ ولو اقاموا فتُهزَلَ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ماروا جميعاً والقطُّ والقَلَمُ

٢ً كان اميّة من الحنفاء وقد سبق (ص ١١٨—١١٩) انّ الحنيفيّة في الجاهليّة يُرَاد بها النصرانيّة او شيعة من شيعها واتينا على ذلك بشواهد اسلاميّة . ٣ً اطلاعهُ على الاسفار المقدّسة والانجيل ودرسهُ لها (الاغاني ٣ : ١٨٧) . ٤ً دخولهُ كنائس النصارى واجتماعهُ برهبانها (ص١٨٨) . ٥ً معرفتهُ للّغة السريانيّة لغة نصارى العراق . قال ابن دريد في تاج العروس (٣ : ٢٨٦) : « كان اميّة يستعمل السريانيّة كثيراً لأنهُ كان قد قرأ الكتب » . ٦ً في شعرهِ من مقتبسات الكتب المقدّسة ما تفرّد به كعدي بن زيد . فانّ لهُ اوصافاً عديدة للاحداث الكتابيّة وللعقائد الدينيّة كوصفه الجميل للعزّة الالهيّة والملائكة والدينونة والجحيم والنعيم وبشارة العذراء وميلاد المسيح العجيب ما يدلُّ صريحاً على تنصّرهِ . على اننا نقرُّ بانّ في اخبارهِ اضطراباً لبُعد عهد الرواة عن زمانهِ

ثالثاً شعراء مضر

لم تنتشر النصرانيّة في مضر بن نزار وقبائلهِ انتشارها في قبائل اخويهِ ربيعة واياد على اننا وجدنا ايضاً عدّة آثار تنبئ بدخول النصرانيّة في احياء كثيرة منها كبني عُقَيل الذين غلبت عليهم النصرانيّة وبني تميم وعبس وذبيان وقيس عيلان وناجية . وقد اوردنا على ذلك شواهد في ما سبق في باب القبائل المتنصّرة وذكرنا بعض الاديرة المشيّدة بينها

١ بنو تميم

روينا اخبار واشعار خمسة منهم اعني :

١ عدي بن زيد	(شعراء النصرانيّة	ص ٤٣٩—٤٧٤)
٢ الاسود بن يعفر	«	٤٧٥—٤٨٥
٣ سلامة بن جندل	«	٤٨٦—٤٩١
٤ اوس بن حجر	«	٤٩٢—٤٩٧
٥ علقمة الفحل	«	٤٩٨—٥٠٩

عديّ بن زيد باقرار كلّ الكتبة كان نصرانياً من اسرة نصرانيّة في خدمة ملك نصراني من ملوك الحيرة. وفي شعرهِ من الآثار الدينيّة ما لم يُرْوَ عن غيرهِ الّا عن اميّة بن ابي الصلت. ففيهِ روايات من الاسفار المقدّسة. وقد حلف بالشبَر اي القربان وبالصليب. وفي اخبارهِ ذكر دخولهِ الكنائس الى غير ذلك

وكان الاسود بن يعفر التميمي من سادة قومهِ ونادم النعمان كعدي بن زيد وعاش بين نصارى الحيرة وكانت بنو عجل النصارى اخوالهُ

وكذلك سلامة بن جندل الذي نشرنا ديوانهُ سنة ١٩١٠ فانهُ كالاسود بن يعفر عاش في جهات الحيرة التي كانت عمّت النصرانيّة كلّ انحائها وعاشر قوماً من النصارى كتغلب والباديّين وفي شعرهِ تلميحٌ اليهم. ولا اثر لكليهما في قصائدهما الى شيءٍ من الشرك وعلى خلاف ذلك. وردت في شعر سلامة تشابيه واشارات نصرانيّة كذكرهِ لداود النبي وتنويه بخطوطات النصارى المنتقة وبلابس الباديّين

وقد جعلنا ايضاً اوس بن حجر في جملة النصارى وهو احد الذين اطلقهم من الاسر بسطام بن قيس رئيس شيبان النصراني بعد ظفرهِ بتميم فمدحهُ اوس لكرمهِ. ومن تشابيهِ النصرانيّة قولهُ يشبّه لمع رمحهِ بمصباح رئيس النصارى يوم عيد الفصح :

عليهِ كمصباح الغزيّ يشبُّهُ لِفصحٍ وبعشوهُ الذُّبال المفتّلا

وعلقمة بن عبدة التميمي كان مدّاحاً للملك غسّان النصارى ولهُ محاضرات مع امرئ القيس والزبرقان بن بدر الشاعرين النصرانيّين. وفي شعرهِ اشارة الى كأس قربان النصارى ومنعولها الصالح دون الأذى بشاربها قال في وصفها :

كأسٌ عزيزٌ من الاعنابِ عتّقها لبعض احيائها حانيّةٌ حومُ
تشفي الصداعَ لا يؤذيك صالبُها ولا يخالطُها في الرأس تدويمُ

قال الشارح : « العزيز كبير النصارى وقولهُ « لبعض احيائها » اي اعدّها لفصحٍ او لعيدٍ »

٢ عبس وذبيان

عبس وذبيان ابوهما بغيض بن غطفان يتّصلان بهِ الى الياس بن مضر بن نزار وقد

وقعت بينهما حروب كما جرت بين بكر وتغلب وقد نوّهنا بولوج النصرانيّة في احيائهما (ص ١٣٤) وقد ذكرنا من عبس اربعة شعراء :

١ الربيع بن زياد	(شعراء النصرانيّة ص	٧٨٧-٧٩٣)
٢ عنترة بن شدّاد	«	٧٩٤-٨٨٢
٣ عروة بن الورد	«	٨٨٣-٩١٦
٤ قيس بن زُهَير	«	٩١٧-٩٣٢

ومن ذبيان اوردنا ترجمتي وقصائد شاعرين وهما :

١ النابغة الذبياني	«	٦٤٠-٧٣٢
٢ الحصين بن الحمام	«	٧٣٣-٧٤٥

الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان من ندماء النعمان بن المنذر ملك الحيرة مع سرجون بن توفيل وغيره من النصارى كما روى صاحب الاغاني وفي ذلك دليل على انه يدين بدينهم وفي اخباره ادلّة على توحيده وكرم أخلاقه

اما عنترة فكانت امّهُ حبشيّة والحبش نصارى كما هو معلوم . وفي شعره الصحيح والمصنوع آثار عديدة دالّة على توحيده وآدابه ودينه . وفي ذلك ما يدلُّ على نصرانيّته لانّ التوحيد قبل محمّد لم يشع في جزيرة العرب الّا بفضل النصرانيّة . وزد على ذلك انهُ كان في خدمة الملك زهير وابنه قيس النصرانيّين

وكذلك عروة بن الورد موحّدٌ في شعره ولهُ في اخباره من اعمال الرحمة على الفقراء والمبؤوسين ما لا يُعهد مثلهُ الّا عند من ربوا على التعاليم النصرانيّة فدُعي لذلك عروة الصعاليك وشعرهُ ايضاً يخلو من كل شرك

اما قيس بن زهير فكان ابوهُ حليف ملوك الحيرة صاهرهُ النعمان فتزوّج ابنتهُ لشرفهِ وسؤددهِ . وقد روى ابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٢٤٢) : انهُ بعد حرب داحس والغبراء « تاب الى ربّه فتنصّر وساح في الارض حتّى انتهى الى عمان فتزهّب »

وفي شعر النابغة عدّة آثار منبئة بتوحيده وتديّنه وتقاهُ . وقد مدح ملوك غسّان والمناذرة النصارى وفي ملوك غسّان يقول :

مجلّتهم ذات الاله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وهو مديحٌ لا يقولهُ شاعر ما لم يدِنْ بدينهم . وقد ذكر صليب الزوراء في مدحهِ للنعمان ملك الحيرة النصرانيّ :

ظلّت تقاطع أنعام مؤبّلة لدى مليب على الزوراء منصوب

قال يذكر المصلّين من الرهبان الذين رافقوا جنازة الملك النعمان بن الحارث الغساني:

فآبَ مصلّوهُ بعَيْنٍ جليّةٍ وغودر بالجَوْلان حزمٌ ونائلُ

ومن آثار عنّته الشاهدة له على دينه النصراني وايمانه بالآخرة قوله:

حيّاكَ ربّي فانّا لا يحلُّ لنا لهوُ النساء وانّ الدينَ قد عزما
مبشّرين على خُوصٍ مزمّلةٍ نرجو الاله ونرجو البرّ والطُّعُما

وفي اعتقاده لعزّة الله وجلاله يقول:

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

وقد ذكر في شعره الانبياء كداود وسليمان. كقوله في داليّته التي مدح بها النعمان:

الا سليمان اذ قال الاله لهُ قُم في البريّة فاحدُدْ عنها الفَنَدِ
فشدّ أطلاقك فامنُنْ او فاعفُ عنهُ بطاعتهِ كما اطاعك وادلُلْهُ على الرشدِ

وكان الحصين بن الحمام ذبيانيًا ايضاً. وفي ترجمته انهُ كان يؤمن بالله ويقرّ بالبعث وبعواقب الانسان من نعيم وجحيم فقال من ابيات وهو نعم القول (اغاني ١٢:

فلم يبق من ذاك الا الثنا ونفسٌ تعالج آجالها
امورٌ من الله فوقَ السماء مقاديرُ تُنزلُ إنزالها
اعوذُ بربّي من المخزيا ت يوم ترى النفسُ أعمالها
وخفّ الموازينُ بالكافرين وزُلزلت الارضُ زلزالها
ونادى منادٍ بأهل القبور فهبّوا لبُعثرَ أثقالها
وسُعّرت النارُ فيها العذابُ وكان السلاسلُ اغلالها

ومن بني قيس عيلان من غير عبس. وذبيان ذو الاصبع العدواني ينتمي الى عدوان بن عمرو بن سعد بن عيلان. وقد أنسنا في شعره من الآداب والحكم ما يدل على الترجيح بنصرانيّته مع خلوّه من كل اثر للشرك. فهو يذكر الله وقدرتهُ على كلّ ما يشاء. وفي قومهِ عدوان قد أحصى سبعون الف غلام أغرل. كما روى

صاحب الاغاني عن الاصمعي (٣:٢٠) وقد رأينا في اسمائهم للختانة اثرًا لنصرانيَّتهم

٣ شعراء هوازن

هوازن يرتقي نسبُها الى خصفة بن قيس عيلان بن الياس بن مضر ادرجنا اثنين من شعرائها في جملة شعراء النصرانيَّة وهما :

١ كعب بن سعد الغنوي	(شعراء النصرانيَّة	ص٧٤٦-٧٥١)
٢ دريد بن الصمَّة	»	٧٥٢-٧٨٣

في شعر كعب بن سعد من الحكم والعواطف اللينة والحنان ما دفعنا الى ضمّه الى شعراء النصرانيَّة . ثم انَّ اخاهُ ابا المغوار قُتل في حرب ذي قار التي كان اكثر محاربيها من القبائل النصرانيَّة

امَّا دريد بن الصمَّة فانهُ كان سيّد قومهِ بني جُشم وفارسهم ادرك الاسلام وحارب محمّدًا وانصارهُ يوم حنين . وفي شعرهِ من الايمان بالله وذكر الانبياء ما ينفي عنهُ الشرك ويدلُّ على انهُ اخذ ذلك عن النصارى . وكان اخوهُ يدعى عبدالله وفي اسمهِ شاهد على دينهِ . وقد مدح في شعرهِ بني الدَّيان نصارى نجران

٤ شعريُّون آخرون

هم اربعة نظمناهم في سلك كتابنا يرتقي نسبهم الى الياس بن مضر بن نزار :

١ زهير بن ابي سلمى	(شعراء النصرانيَّة	ص٥١٠-٥٩٥)
٢ عبيد بن الابرص	»	٥٩٦-٦١٥
٣ ورقة بن نوفل	»	٦١٦=٦١٨
٤ زيد بن عمرو بن نُفَيل	»	٦١٩-٦٢٢

زهير صاحب المعلّقة الميميَّة الشهيرة ومادح السيّدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين سعيا باصلاح قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب داحس والغبراء . كان مؤمنًا بالله وبيوم الدين والحساب ومن اقوالهِ في ذلك قولهُ للمتحاربين ليتركوا كلّ ضغينة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليُخفى وهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ
يؤخَّرْ فيوضعْ في كتاب فيُدَّخَر ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنقَمِ

وقال ايضاً :

بدا لي انَّ الله حقٌّ فزادني الى الحق تقوى الله ما كان باديا

وهو القائل :

تزوّد الى يوم الممات فانّهُ ولو كرهتهُ النفسُ آخرُ موعد

وقدّمنا انّ الايمان بالله وبالحساب قبل الاسلام يُشعر بنصرانية قائلهِ . وهو ينسب الى الله في شعرهِ الحكيم في خلائقهِ مع وجودهِ الى الابد . وكذلك اشار في قصائدهِ الى امور من الكتاب المقدّس كذكرهِ لفرعون وداود

عبيد بن الابرص احد الشعراء الوافدين على ملوك غسّان وكندة النصارى وقد مدحهم بشعرهِ . وفي ديوانهِ ما ينبئ بتوحيدهِ وتقاهُ واعتقادهِ للآخرة . كقولهِ في بائيّتهِ الشهيرة :

مَنْ يسأل الناسَ يحرموهُ وسائلُ الله لا يخيبُ
بالله يُدرَكُ كلّ خيرٍ والقول في بعضهِ تانيبُ
والله ليس لهُ شريكٌ يلأمُ ما اختتِ القلوبُ

وكثيراً ما ينسب اليهِ تعالى القدرة والبقاء والعلم . فمن قولهِ :

وليَفْنَيَنْ هذا وذاك كلاهُما الّا الالهَ ووجهَهُ المعبودا

وذكر ايضاً في شعرهِ النبيّ داود

اما ورقة بن نوفل فلا خلاف في نصرانيّتهِ فانّ عامّة الكتبة المسلمين يقرّون بذلك كابن قتيبة في المعارف وابن هشام في سيرة الرسول وقد روينا ما قالهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني . ومثلهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٥ : ٤٣٦) قال « انّ ورقة كان امرأ تنصّر في الجاهليّة يكتب الكتاب العبرانيّ ويكتب من الانجيل ما شاء الله ان يكتب » وكان ورقة ابن عمّ خديجة زوجة رسول الاسلام . وفي شعرهِ ما يثبت صحّة دينهِ

اما زيد بن عمرو بن نُفَيل فيقال عنهُ انهُ خلع عبادة الاوثان واجتمع بالاحبار والرهبان وضرب في البلاد يطلب الحنيفيّة دين ابرهيم . وعندنا انّ هذه الحنيفيّة هي احدى شيع النصارى . ولو قابلتَ بين شعرهِ وشعر ورقة وجدت بينهما شبهاً تامّاً في كلّ معانيهما وزهدهما وايمانهما بالاله الواحد وبالبعث والخلود للابرار في دار النعيم وللكفّار في نار الجحيم

رابعاً شعراء اليمن من بني كهلان

في القسم الاوّل من كتابنا خصصنا عدّة صفحات لبيان نفوذ النصرانيّة في اليمن منذ القرون الاولى للنصرانيّة ولاسيّما بعد انفجار سدّ مأرب بين القبائل المتنقلة الى شمالي جزيرة العرب وغربيّها وجنوبيها الشرقي فلا حاجة الى تكرار ما اثبتناهُ عن تنصُّر كندة وقضاعة وغسّان والمناذرة . وقد روينا اخبار بعض الشعراء من قبائل يمنيّة اعني كندة ومذحج وطيّ

١ شعراء كندة

اشعر شعراء كندة بل رأسهم وزعيمهم امرؤ القيس الكندي . روينا اخباره بعد ان قدّمنا عليها اخبار اعمامه

١ اعمام امرئ القيس (شعراء النصرانيّة ص ١–٥)
٢ امرؤ القيس بن حجر « ٦–٦٧

قد سبق لنا في المشرق مقالةٌ مطوّلة رددنا فيها على مزاعم الاب انستاس الكرملي الذي ادّعى ان امرأ القيس كان مزدكيًّا فكتب عن ذلك فصلين اثبتناهما في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٨٨٦ و ٩٤٩) فابطلنا زعمهُ واثبتنا نصرانيّة امرئ القيس بعشرة براهين (٨ : ٩٩٨–١٠٠٦) : ١ تفنيدنا لمن زعم انهُ كان وثنيًّا او مزدكيًّا (٩٩٩–١٠٠٢) . ٢ خلوّ شعره من آثار الشرك وعبادة الاصنام . ٣ عدّة ابيات من قصائده تصرّح بتوحيده واقراره بالبعث والنشور . ٤ اشارات واضحة الى شؤون النصارى وعاداتهم ورهبانهم وزبورهم سبق ذكرها . ٥ انتشار النصرانيّة في كندة قبيلة امرئ القيس كما اعلن ذلك عبد المسيح الكنديّ في معارضته للهاشميّ حيث يذكر شرف كندة ويفتخر بدينها المسيحيّ . ٦ خروج امرئ القيس الى قيصر الروم يستنجده على قتلة والده حُجر . وما كان امرؤ القيس ليفكّر في ذلك لولا رابطة الدين بينهُ وبين ملك الروم الذي كان في ذلك الوقت يُدعى يوستنيان العريق في دينه النصرانيّ . ٧ كانت عمّة امرئ القيس هندٌ بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى وهي زوجة المنذر بن ماء السماء. ووالدة عمرو بن هند التي عمّرت الدير المنسوب اليها في الحيرة وعلّقت عليها كتابة تدعو فيها نفسها « أمة المسيح وامّ عبده

وبنت عبيده» وبذلك تثبت ايضاً نصرانيّة اعمام امرئ القيس الذين ذكرناهم ٨ وكذلك امّ امرئ القيس هي فاطمة اخت المهلهل وكليب من قبيلة تغلب النصارى. ٩ وقد رويدا في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٠٠٥) ما نقلهُ فوطيوس في مكتبتهِ عن الاصل اليوناني للمؤرخ فيلوستوز الذي ارسلهُ يوستينيان الملك سفيراً الى الحبشة والى امرئ القيس الكندي ليولّيهُ على مقاطعات فلسطين (١ . وفيها من الشواهد على نصرانيّة امرئ القيس ما لا يُنكر . ١٠ وشفعنا اخبار تلك السفارة بذكر سفارة اخرى رواها المؤرخ بروكوب الشهير في كتابهِ عن الحرب الفارسيّة (Procope, B.P.,I.,20) قال انها عُهدت الى يُليان من قبل ملك الروم الى الحبشة والحميريين ليجعلوا الملك على قبائل معدّ في يد امرئ القيس الذي كان في ذلك الوقت شارداً بين القبائل ويقول عنهُ بروكوب « انهُ كان احد رؤساء القبائل من نسل كريم وذا بطش في الحرب » وقد اثبتنا كلامهُ بالحرف في الاصل اليوناني

٢ شعراء مَذْحِج

مذحج قبيلة يمنيّة كبيرة كانت تسكن جنوبي العرب في جهات نجران وفيها انتشرت النصرانيّة على يد احد دُعاتها الذي يدعوهُ العرب فيمون. ومنها كان شهداء نجران في عهد ذي نوّاس. واليها ينتمي بنو الحارث بن كعب سادة نجران النصارى بُناة الكنائس وكعبة نجران (راجع الصفحة ١٣٩) . وقد اخترنا من شعراء مذحج ثلثة وهم :

١ الافوه الاودي	(شعراء النصرانيّة	ص٧٠-٧٦)
٢ عبد يغوث	«	٧٥-٧٩
٣ يزيد بن عبد المدان	«	٨٠-٨٨

كان الافوه الاودي سيّد قومهِ وفي شعرهِ من الحكم ما يدلُّ على حصافة رأيهِ وحسن نظرهِ وآدابهِ. ومثلهُ عبد يغوث كان فارساً مغواراً . اما يزيد بن عبد المدان فكان من اشراف اليمن وسيّد مذحج من بني الدَّيان الذين مدحهم الاعشى لجودهم وعزّهم . ولا حاجة لاثبات نصرانيّتهم مع شهرتها

١) اطلب اعمال الآباء اليونان (Migne, PP. GG., CIII, col. 46-48)

٣ شعراء بني طيّ

طيّ احدى القبائل اليمنيّة التي صرّح كتبة العرب بنصرانيّتها قال ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) : « تنصّر من احياء العرب من اليمن طيّ ومذحج » راجع ادلّة اخرى اثبتناها في ما سبق (ص١٣٢) وقد اخترنا من شعراء طيّ الاربعة الآتي ذكرهم :

١ حنظلة الطائي	(شعراء النصرانيّة	ص ٨٩-٩٢)
٢ قيصة بن النصراني	«	٩٣-٩٧
٣ حاتم الطائي	«	٩٨-١٣٤
٤ اياس بن قبيصة	«	١٣٥-١٣٨

حنظلة الطائي هو ذاك الوافد على النعمان يوم بؤسهِ وفاء بوعدهِ اذ رجع ليُقتَل بعد غيبتهِ . وكان قيامهُ بوعدهِ لاجل دينهِ النصراني داعياً لتنصُّر النعمان . ومات بعد ان ترهَّب في الدير الذي ابتناهُ على نفقتهِ

قبيصة بن النصراني احد بني جَرْم المشهورين بنصرانيّتهم في طيّ . ذكرهُ مرارًا ابو تمّام في حماستهِ . ويدلُّ اسمهُ على دينهِ

وكذلك حاتم الطائي نصرانيّ لا شكَّ فيهِ . فانَّ ايمانهُ بالاله الواحد وبالبعث والنشور واشاراتهُ الى بعض امور النصرانيّة تثبت امر دينهِ . وفي سيرته من آثار العفّة والكرم ما هو موافق للروح النصراني ولعلَّهُ اقتبس من الانجيل قولهُ :

كُلوا اليوم من رزق الاله وأيسروا وانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غدا

وقد صرّح الكتبة بنصرانيّة ابنهِ عدي الذي وفد على محمّد وقيل انهُ أسلم . وذكر صاحب دائرة المعارف الاسلاميّة (Encyclopédie de l'Islam, p. 1078) في ترجمة عديّ بن حاتم انَّ الأب والابن كانا نصرانيّين . وسبقهُ الى ذلك غانيار (Gagnier) في سيرة محمّد الافرنسيّة

أمّا اياس بن قبيصة فهو ابن اخي حنظلة الذي كان وفاؤهُ داعياً لتنصُّر النعمان . وكانت أمُّهُ اخت هانئ بن مسعود رئيس بني شيبان النصارى . وكان اياس من اشراف الحيرة . ولم يعدلوا عن دينهم لمّا ظهر الاسلام فانَّ الطبريّ يخبر في تاريخهِ (١ : ٢٠١٨) أنهم فضّلوا دفع الجزية مع البقاء على دينهم النصراني

٤ شعراء كلب

انّ نصرانيّة كلب المنتمية الى قضاعة ممّا لا يختلف فيه اثنان (راجع الصفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتابنا) ولم نذكر من هذه القبيلة غير زهير بن جناب الكلبي القضاعيّ. ولأنّ ابرهة على بكر وتغلب كما رويناه (ص ٢٠٦ من شعراء النصرانيّة) وذلك بسبب نصرانيّته ونصرانيّة بكر وتغلب. وكذا يقال عن دخوله على ملوك غسّان وبني لخم. وجاء في تذكرة ابن حمدون (نسخة برلين ص ٢١٥) «انّ زهير بن جناب كان سيّداً مطاعاً شريفاً في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم تجتمع في غيره من اهل زمانه كان سيّد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وقائدهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم (والطبّ في ذلك الزمان شرف) وجارى قومه الى كاهنهم وكان فارس قومه وله البيتُ فيهم والعدد منهم» ثم يورد وصاته لبنيه يحرّضهم فيها على الثقة بالله

وبزهير بن جناب ختام فصلنا هذا الذي قدّمنا فيه الدلائل على نصرانيّة الشعراء المذكورين في كتابنا وبه ايضاً نجاز كتاب «تاريخ النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة». ونكرّر ما قلنا سابقاً أنّنا (اوّلاً) ذكرنا من شعراء الجاهليّة الذين صرّح الكتبة بدينهم النصرانيّ. (ثانياً) حقّقنا نصرانيّة كثيرين منهم بنصرانيّة قبائلهم ويخلو شعرهم من آثار الشرك وبتوحيدهم لله واعتقادهم بخلود النفس والثواب والعقاب وباشاراتهم الى دين النصارى وكلّ ذلك لا يمكن تعليلهُ بين عرب الجاهليّة الّا بنفوذ النصرانيّة. (ثالثاً) اخذنا اسم النصرانيّة بمعناه الواسع سواء كان الشعراء من تبعته المستقيمي الايمان او من شيعه الضالّة كالاريوسيّة والنسطوريّة واليعقوبيّة. (رابعاً) لسنا لندّعي انّ هؤلاء النصارى جروا في سيرتهم بكلّ حرص على نواميس النصرانيّة لاسيّما في امر الطلاق وفي غزواتهم واخذهم بالثأر على خلاف التعاليم النصرانيّة. وانّما تبعوا في ذلك سُنن عرب البادية واقتفوا آثارهم. وتقلّدوا عاداتهم. والعادة كما يُعرف طبيعة ثانية يصعب استئصالها وقهرها. (خامساً) وان وجد احد في بعض اقوالنا شططاً فماذا الله ان نكابر الحقّ ان بيّنهُ لنا ارباب الفضل والعلم. وليس الكمال الّا لله

وسنلحق كتابنا هذا ببعض فوائد واصلاحات وفهارس نطبعها على حدة ان شاء الله